محاورات شارون وتينيت بواشنطن حول اغتيال الرئيس الفلسطيني!

عندما قرأت في إحدى الصحف عنوانا يقول: " تينيت يرفض توجهات شارون المعادية للرئيس عرفات "، ظننت أن الولايات المتحدة أحدثت مراجعة لسياستها في منطقتنا. ولكن قراءة بقية الخبر سرعان ما أوضحت بجلاء أن رئيس ال " سي آي إيه "، الذي هو منسق التنفيذ الأكبر للسياسة الإسرائـ مريكية في بلادنا، والذي سبق أن قال للرئيس عرفات متوعدا في كامب ديفيد إن منطقة الشرق الأوسط بشعوبها وحدودها قابلة للتغيير، يسير على هدي توجهات لم تحمل، من عهد إلى عهد، ومن إدارة إلى إدارة، ومن رئيس إلى رئيس، إلا المزيد من الكيد والعداء والتآمر على مستقبل الفلسطينيين والعرب والمسلمين.

فالخبر يتحدث عن معلومات وردت على لسان الأستاذ محمد حسنين هيكل، وهو رجل واسع الاطلاع، في مقابلة صحفية له مع صحيفة مصرية، تقول إن آريئيل شارون اقترح خلال آخر زيارة له إلى واشنطن في حزيران الماضي تصفية الرئيس عرفات أو طرده، لكن جورج تينيت كانت له وجهة نظر مختلفة، فحواها إن عرفات ما زال قادرا على لعب دور، وإن إزاحته يجب أن تحصل بهدوء وإلا فإن الأمر سيوجد مزيدا من التوتر. وليس هناك حاجة إلى حرق المراحل.

وأضاف تينيت إنه عندما "يفرض عصر ما بعد عرفات نفسه " فسيكون من الأفضل إزاحته دون عنف مع الحفاظ على السلطة الفلسطينية كهيئة بإمكاننا التعامل معها، وخصوصا للمطالب الأمنية.

وذكر تينيت لشارون أسماء ثلاثة شخصيات فلسطينية بإمكانها خلافة عرفات.

انتهى الخبر الذي نشرته إحدى صحفنا اليومية. وهو خبر لا مجال للتشكك فيه لأنه يشبه نمط التفكير الأمريكي والإسرائيلي وطابع كل من تينيت وشارون.

وأول تعليق يخطر بالبال أن الحديث عن قتل الرئيس الفلسطيني ليس بالأمر الجديد. فالإسرائيليون دأبوا منذ بعض الوقت على تفريغ ذعرهم وحقدهم، بالحديث عن اجتياح مناطقنا واستخدام مزيد من القوة والبطش لإخماد غضبة الفلسطينيين، ومن ذلك قتل عرفات.

أي أن الحديث عن اغتيال الرئيس المنتخب لدولة فلسطين بات حديثا عاديا مألوفا على الرغم من أنه الرجل الذي قاد الدور المعاصر في ثورة الشعب العربي الفلسطيني، والرجل الذي لم يكن في وسع فلسطيني آخر أن يقطع شوط التسوية مثله، والرجل الذي وقع على اتفاق السلام في البيت الأبيض بحضور الرئيس الأمريكي، والرجل الذي وضع يده في يد رئيس الوزراء الإسرائيلي، مع أن ذلك كله كان قبل عرفات من المحرمات التي لم تجد من يزيل عنها التحريم.

وهكذا كشف الإسرائيليون قناعا آخر عن زيف توجههم للسلام، وغدرهم بكل من يضع يده في يدهم معتقدا أنهم يمكن أن يقبلوا مبدأ الشراكة مع صاحب حق.

أما الأمريكيون فقد أزالوا كل لبس حول طبيعة دورهم العدائي الصارخ ضدنا. ولم يدعوا لعملائهم في المنطقة شجرة توت واحدة يسترون بها السياسة الأمريكية المفضوحة أمام شعوبهم.

فالحديث الذي دار بين شارون وتينيت لا يكون إلا بين متآمرين في العمق العميق والشمول الشامل.. اثنين يتحدث أحدهما عن قتل معجل والثاني عن قتل مؤجل في نطاق هدف مشترك وخطة مدروسة معتمدة يمارس كل

من الاثنين دوره فيها ويتحاوران بين الحين والحين في التفاصيل التنفيذية ومستجداتها. فعندما يتكلم تينيت عن عدم الحاجة إلى ما أسماه (حرق المراحل)، فليس هناك معنى آخر غير أن الطرفين متعارفان على المراحل القريبة والبعيدة سويا. كما أن تينيت غير معترض على مبدأ اغتيال رئيس الفلسطينيين وإنما على التوقيت، فالتوقيت في نظره غير مناسب لثلاثة أسباب: الأول أن الأمريكيين مازالوا يريدون أن يقوم الرئيس عرفات بدور مطلوب (لا يستطيع غيره القيام به طبعا) والثاني أن من شأن الاغتيال في هذا التوقيت أن يوجد مزيدا من التوتر، أي مزيدا من احتمالات تململ أهل المنطقة وتخلخل السيطرة الأمريكية عليها. والثالث أن الأمريكيين لم يفرغوا بعد من عملهم في توليد (عصر ما بعد عرفات).

لقد سبق للرئيس ياسر عرفات أن تلقى من تينيت تهديدات مماثلة بغية الضغط على أعصابه في كامب ديفيد بحضور كلينتون وصائب عريقات. وآنذاك أجاب الرئيس قائلا: إنني أدعوكم لحضور جنازتي! ونحن على يقين من أن رد فعله ما زال ماثلا وأنه لم يبدل تبديلا. فلا مجال للمساومة في الأساسيات. ولن يكون ياسر عرفات هو ياسر عرفات التاريخي إذا تنازل عن الأساسيات. بل سيكون وهذا مستحيل مجرد صاحب سلطة يشتري فضالة شيخوخة بالمسجد الأقصى. علما بأن موضوع معركة اليوم حصرا هو محاولة زحزحة الفلسطينيين بالقوة والضغط المتواصل عن أساسياتهم ومقدساتهم.

وكلام تينيت من أخطر ما يكون. ومعناه أن الدولة الأقوى والأغنى في العالم لا تكتفي بمؤازرة الإسرائيليين في العدوان علينا بصمتها عن المذابح الجارية ضد الفلسطينيين أو باستخدامها الفيتو مرة بعد مرة ضد الحماية الدولية أو المراقبة الدولية، ولكنها تقود الإسرائيليينه بالرأي وبالفعل في عملية سخرت لها سلاحها ورجالها وأموالها، وخططت مراحلها مرحلة بعد مرحلة، وأوكلت تنفيذها إلى ال سي آي إيه، ذراع أمريكا الطويلة عبر العالم.في حين أنها مازالت تسمي الموقف الأمريكي موقف غياب وعدم رغبة في التدخل. وهذا زور وبهتان.

إن الدولة التي تدعي زعامة الديمقراطية، ابتكرت مبدأ العمل الاستراتيجي بواسطة الأجهزة السرية وأقسامها التنفيذية المتخصصة بالانقلابات والاغتيالات والمؤامرات، بحيث أصبحت السلطات التنفيذية والتشريعية بل والقضائية في كثير من بلدان العالم الثالث واجهات تعسة للقوة الأمريكية القابعة في الظل والممسكة بخيوط اللعبة إمساكا محكما. وهكذا جعلوا من الديمقراطية ومؤسساتها المنتخبة أضحوكة. وسلموا السلطات الحقيقية لأفراد صغار مجهولين ذوي حيوية وطموح كبيرين، مرتبطين بالخطط المعادية لشعوبهم، موالين للمصالح الكبرى التي عمد الأمريكيون إلى نفحهم بها وإرشادهم إلى كيفية استثمارها وتعليق قلوبهم بأرقام ازديادها.

هؤلاء هم الحكام السفليون أصحاب السلطة الفعلية في العالم الثالث اليوم. وهؤلاء هم رأس مال أمريكا وإسرائيل. وهؤلاء هم الذين يحددون لحكام الواجهة ما يفعلون وما لا يفعلون. وهي صورة كئيبة لواقع مقصود به نهب العالم الثالث وثرواته الخام، وإجهاض إمكانات تقدمه وتطوره، وإبقاؤه مزبلة للوقود النووي المستنفد للدول الصناعية وسوقا للسلع الفاسدة، وما زال الحبل على الجرار، وعمليات جورج تينيت جارية نحو تغيير الشعوب وتغيير الحدود في المنطقة، كي لا تتشكل قوة ذات وزن فيها، وكي يصبح كل عدد صحيح من أعدادها كسرا من جملة الكسور، وكل دولة من دولها مجموعة من ممالك المدن!

لقطات الأسبوع:

- * لا أفهم كيف يكتب مغترب فلسطيني هو السيد ادوارد سعيد داعيا إلى رحيل الرئيس عرفات، وذلك في

الوقت نفسه الذي يتحدث فيه المتشددون الإسرائيليون عن اغتيال عرفات، ويذهب شارون إلى أمريكا ليتشاور مع تينيت حول الموضوع!؟ هل هي صدفة؟ إن من حق المرء أن يتشكك، لأن المفارقة صارخة. ولكن حتى لو أزحنا التشكك جانبا فلا يمكننا أن نفهم كيف لا يلقي البعض على أنفسهم السؤال: من هو البديل لعرفات؟ هل بوسع السيد سعيد مثلا أن يصلح بديلا هو أو جوقة المثقفين الذين لا يعرفون الواقع ولا يلامسونه؟

- يوجد لدينا من أصحاب الكراسي الهزازة أناس يصدق فيهم المثل الشعبي القائل: لا يرحم، ولا يريد من يرحم، ولا يريد رحمة ربنا أن تنزل على الناس.
- أبشع أنواع الانتهازيين هم الذين يتقربون إلى صاحب السلطان بالافتراء على من يحسبونهم منافسي السلطان.
- انسحبت الولايات المتحدة من مؤتمر ديربان لمحاربة التمييز العنصري، وبعدها بفاصل زمني قصير خرجت إسرائيل. تلك هي الحركة الظاهرة. ولكن الحقيقة الخفية أن الولايات المتحدة هي التي (برطعت) في ذيل إسرائيل.
- ويا لرجال الصف الأول من الشخصيات السياسية في الولايات المتحدة، كيف لا يعبأون بصورة دولتهم أخلاقيا في سبيل صفقاتهم مع اللوبي الصهيوني.
- والحقيقة الخفية بغض النظر عن المظاهر تقول أيضا وأيضا إن مؤتمر ديربان كان مؤتمر العنصرية في الصميم. لأن الخلاصة فيه أن كتلة الولايات المتحدة مع أوروبا (أي ناهبو ثروات العالم بالأمس واليوم) مارسوا أساليبهم المختلفة ضد الآسيويين والأفريقيين ودول العالم الثالث عموما. وهكذا حرموهم من أهم مطلبين لهم: إدانة الفظائع العنصرية الإسرائيلية، والتعويض على الدول الإفريقية مقابل فظائع عبودية الرق وشحن الرقيق في زرائب الحيوانات.
- في الأسبوع الماضي كتب كاتب يساري إسرائيلي يقول إن اغتيال الشهيد القائد مصطفى الزبري (أبو علي مصطفى) دفاع مشروع عن النفس! ولم أستغرب ذلك لأنني لم أقتنع يوما بحدوتة اليمين واليسار في إسرائيل، ويكفي دليلا أن حزب العمل المصنف يساريا هو الذي ارتكب الجريمة الكبرى وأم الجرائم حين خطط ونفذ عملية إخراج الفلسطينيين من ديارهم عام ١٩٤٨، وهو الذي زرع المستعمرات الاستيطانية في مناطق الضفة والقطاع.
- وفي الأسبوع الماضي صرح بنيامين نتنياهو أيضا أن الفلسطينيين يقومون بالتطهير العرقي ضد اليهود. واستدل على ذلك بأن مواطنين فلسطينيين من رام الله قتلوا اثنين من الإسرائيليين لمجرد أنهما يهوديان، وبأن مواطنين فلسطينيين من قرية نعلين قتلوا يهوديا في مطعم بقرية نعلين. وتناسى نتنياهو أن إسرائيل نفسها لم تقم إلا على العنف والمذابح. بل وتناسى أنه هو القائل إن مجرمي الحرب الصربيين الذين يحاكم كبيرهم اليوم أمام محكمة جرائم الحرب في لاهاي كانوا يملكون الحق فيما فعلوه، وأن كل (أقلية) تحاول على حد قوله أن تنفصل عن بلادها تستأهل أن يفعل بها ما فعله مجرمو الحرب الصربيون!!